الطلاق الصامت في الجزائر -أبعاد خفية وتأثيرات ملموسة-

Silent Divorce in Algeria: Hidden dimensions and tangible effects

د. غزالة ابن فرحات / أستاذة بجامعة 8 ماي 1945 قالمة–الجزائر / أستاذ محاضر –أ– / **عضو باحث بمخبر** التنمية الذاتية والحكم الراشد، بجامعة 8 ماي 1945 قالمة–الجزائر.

benferhatghezala@gmail.com / 0669217609

أ.د فوزية زنقوفي / أستاذة بجامعة 8 ماي 1945 قالمة–الجزائر/ أستاذ التعليم العالي/ **عضو باحث بمخبر** "التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع"، فرقة الخدمة المجتمعية كمدخل لخلق التنمية والاستقرار الاجتماعي، بجامعة الوادي -الجزائر.

/fzenkoufi@yahoo.fr / 0670090846

ملخص

تتعرض مداخلتنا إلى تحليل الطلاق الصامت في الجزائر باعتباره ظاهرة اجتماعية تتمثل في الانفصال العاطفي أو الجسدي بين الزوجين دون إعلان رسمي أو طلاق قانوني فوري، فهو يحمل آثاراً عميقة على الأسرة والمجتمع. وتنجم هذه الظاهرة عن مجموعة من العوامل، تشمل الأسباب الثقافية والاجتماعية، الأسباب الاقتصادية، إضافة إلى الأسباب النفسية والشخصية. كما تلعب الصعوبات القانونية ونقص التوعية بحقوق الزوجين دوراً مهماً في استمرار هذه الظاهرة. ويترتب على الطلاق الصامت آثار سلبية على مختلف المستويات سواء كان الزوجين، الأطفال، الأسرة والمجتمع، فيؤدي إلى تفتت الروابط الأسرية وظهور مشكلات اجتماعية متعددة.

لمواجهة هذه الظاهرة، تبرز أهمية نشر الوعي حول آثارها وتقديم الدعم والاستشارات النفسية والأسرية وتبسيط الإجراءات القانونية، إضافة إلى تطوير برامج دعم للأطفال والأسر المتضررة. وباعتبار الطلاق الصامت قضية اجتماعية ذات أبعاد متعددة، فإن فهم أسبابه وآثاره يُعد شرطاً أساسياً لتطوير استراتيجيات فعالة تحد من انتشاره وتعزز استقرار الأسرة والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الطلاق الصامت، الأسرة، الزوجين، الروابط الأسرية.

Abstract

Our intervention analyses silent divorce in Algeria as a social phenomenon that consists of emotional or physical separation between spouses without an official declaration or immediate legal divorce, which has profound effects on the family and society. This phenomenon is caused by a range of factors, including cultural and social reasons, economic reasons, as well as psychological and personal reasons. Legal difficulties and lack of awareness of the rights of spouses also play an important role in the persistence of this phenomenon. Silent

divorce has negative effects on various levels, including spouses, children, families and society, leading to the breakdown of family ties and the emergence of multiple social issues.

To counter this phenomenon, it is important to raise awareness about its effects, provide psychological and family counselling and support, simplify legal procedures, and develop support programmes for affected children and families. As silent divorce is a social issue with multiple dimensions, understanding its causes and effects is a prerequisite for developing effective strategies that limit its spread and promote family and community stability.

Keywords: Silent divorce, family, couple, family ties.

- مقدمة

تُعتبر الأسرة النواة الأساسية في بناء المجتمع، إذ تشكّل الإطار الأول الذي يوفر للفرد الأمن والدعم النفسي والاجتماعي، وتُعتبر المدرسة الأولى التي يكتسب فيها الطفل قيمه وسلوكياته ومهاراته الحياتية. ومن هذا المنطلق، فإنّ قوة الأسرة وتماسكها ينعكسان بصورة مباشرة على استقرار المجتمع وتقدمه. ويُمثل الزواج الركيزة المحورية في بنية هذه المؤسسة، حيث يقوم على أسس المودة، الرحمة والحوار، بحيث يهدف إلى تحقيق التفاهم والتكامل بين الزوجين. غير أنّ أي اختلال في هذه الأسس، فهو يؤدي بالضرورة إلى اضطراب التوازن الأسري، وينتج عنه مشكلات متعددة قد تصل في أشدّ صورها إلى ظاهرة الطلاق.

فالطلاق في صورته المعلنة، يُشير إلى الانفصال القانوني والشرعي بين الزوجين بعد عجزهما عن تحقيق التوافق والتكيف الأسري. لكن الطلاق لا يتجلى فقط في شكله القانوني الظاهر، بل قد يأخذ صورة أخرى أكثر خطورة تُعرف بـ "**الطلاق الصامت**"، حيث يستمر الزوجان في العيش تحت سقف واحد، إلا أنّ العلاقة بينهما تخلو من الحوار والتواصل العاطفي والتفاعل الإيجابي. وفي هذه الحالة يصبح الزواج مجرد إطارا شكليا، بينما يغيب جوهره الحقيقي المتمثل في المودة والتفاهم. (عبد الرحمن، 2017، ص. 45).

وتزداد خطورة هذه الظاهرة في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يشهدها العالم المعاصر، حيث أسهمت الضغوط المعيشية وتغير الأدوار التقليدية بين الرجل والمرأة، إلى جانب تأثيرات الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، في إضعاف الروابط الزوجية وتعزيز مظاهر الفتور والبرود العاطفي. وهو ما يجعل الطلاق الصامت نتيجة طبيعية لهذه المتغيرات مظهراً من مظاهر التفكك الأسري غير المعلن، بما يحمله من تداعيات نفسية واجتماعية خطيرة على الأسرة والمجتمع. (الهاشمي، 2021، ص. 132).

أما في السياق الجزائري، فإنّ للطلاق الصامت أبعاداً خاصة بالنظر إلى المكانة المحورية للأسرة في الثقافة المحلية، حيث يُنظر إلى الزواج باعتباره مؤسسة مقدسة ترتكز على مرجعيات دينية واجتماعية راسخة. غير أنّ التغيرات الاقتصادية، مثل البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة، إلى جانب التحولات القيمية الناتجة عن العولمة والاحتكاك الثقافي، قد ساهمت في إضعاف قدرة بعض الأسر على الصمود، مما أدى إلى تزايد حالات الخلافات الزوجية. وفي كثير من الحالات

لا تُترجم هذه الخلافات إلى طلاق رسمي، بل تبقى حبيسة ما يُعرف بالطلاق الصامت، وهو نمط من التفكك الأسري غير المعلن، والذي يُعتبر أكثر خطورة من الطلاق القانوني، لكونه خفيّاً ويصعب رصده أو التدخل لمعالجته.

وتتجلى أهمية دراسة ظاهرة الطلاق الصامت في كونها شكلاً خفياً من التفكك الأسري يصعب رصده أو التدخل المباشر لمعالجته، رغم ما يحمله من آثار عميقة على الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد. فالطلاق الصامت لا يقتصر تأثيره على الزوجين فقط، بل يمتد ليشمل الأبناء والمحيط الأسري برمته، مما يجعله تحدياً مجتمعياً يتطلب دراسة معمقة لفهم أسبابه وانعكاساته.

وانطلاقاً من هذه الأهمية، تأتي مداخلتنا لتسليط الضوء على هذه الظاهرة، من خلال تحليل أبعادها المختلفة والوقوف على آثارها، وصولاً إلى اقتراح حلول عملية للحد من انتشارها وتعزيز استقرار الأسرة.

أولا: الإطار المفاهيمي للطلاق الصامت

يُعرَّف الطلاق الصامت من زوايا متعددة تعكس أبعاده الاجتماعية والنفسية والأسرية:

فمن المنظور الاجتماعي، يُنظر إليه بوصفه حالة من الانفصال غير المعلن بين الزوجين، إذ يستمر الزواج قائمًا في صورته الشكلية، غير أنّه يخلو من التواصل والحوار، الأمر الذي يحوّل العلاقة الزوجية إلى مجرد إطار خارجي بلا مضمون (عبد الرحمن، 2017، ص. 45).

أما من الناحية النفسية، فيُعدّ الطلاق الصامت انفصالًا داخليًا عاطفيًا يعيشه كل من الزوجين بشكل منفصل، حيث يسود الفتور واللامبالاة محل المودة والرحمة، وهو ما قد يقود إلى مشاعر سلبية كالقلق والاكتئاب والشعور بالوحدة. ويرى **سعيد الهاشمي** أنّ الطلاق الصامت هو "انفصال غير مُعلن، يحافظ فيه الزوجان على الشكل الاجتماعي للأسرة، بينما تختفي مضامينها من حب وتقدير ومساندة". (الهاشمي، 2021، ص. 140). كما يؤكد **أما إدواردز***Edwards* أنّ الطلاق الصامت أو *Silent Divorce* يُصنَّف ضمن أشكال "الطلاق النفسي" الذي يتميز بغياب الروابط العاطفية، مع استمرار العلاقة من الناحية القانونية والاجتماعية. (Edwards, 2016, p. 55)

وفي السياق الأسري، يُعرّف الطلاق الصامت باعتباره تعطّلًا وظيفيًا لمؤسسة الزواج، إذ تفشل الأسرة في أداء أدوارها الجوهرية المتعلقة بتوفير الدعم النفسي والعاطفي لأفرادها، رغم بقاء الرابطة القانونية والاجتماعية للزواج قائمة، بما يجعلها مؤسسة قائمة شكليًا فقط (الخطيب، 2019، ص. 87).

يتضح من خلال هذه التعريفات، أنّ الطلاق الصامت ليس مجرد غياب للتواصل فحسب، بل هو ظاهرة مركبة ذات أبعاد اجتماعية ونفسية وأسرية مترابطة، الأمر الذي يستدعي دراستها بعمق لفهم انعكاساتها على استقرار الأسرة والمجتمع.

ويُميز الباحثون بين الطلاق الرسمي والطلاق الصامت من حيث الطبيعة والآثار:

فالطلاق الرسمي يُشير إلى الانفصال القانوني والشرعي المعلن بين الزوجين، حيث تُنهى العلاقة الزوجية بصورة واضحة أمام المؤسسات القضائية والدينية، ويترتب عليه جملة من النتائج الاجتماعية والقانونية، مثل قضايا النفقة والحضانة وتقسيم الممتلكات. هذا النوع من الطلاق يُنهي الحياة الزوجية فعليًا، ويضع الأطراف في أوضاع جديدة تضبطها التشريعات والأعراف الاجتماعية. (Amato, 2000, p. 1269).

أما الطلاق الصامت، فيُعدّ شكلاً خفيًا من التفكك الأسري، إذ يستمر الزوجان في العيش تحت سقف واحد، لكن العلاقة بينهما تكون منزوعة من أسسها الجوهرية، مثل الحوار والتواصل العاطفي والتفاعل الوجداني. وبهذا يصبح الزواج قائمًا شكليًا فقط، فيما يغيب مضمونه الحقيقي القائم على المودة والتفاهم. وقد اعتبر بعض الباحثين أنّ هذا النمط من الطلاق أكثر خطورة من الطلاق الرسمي، كونه يظل غير معلن ويصعب رصده أو التدخل لمعالجته (Kayser, 1993, p. 47).

إنّ فهم ظاهرة الطلاق الصامت لا يكتمل دون التطرق إلى بعض المفاهيم المرتبطة بها، والتي تُشكل ركائز أساسية في تفسيرها، إذ تساعد على توضيح المظاهر الخفية التي تسبق أو ترافق هذا النوع من التفكك الأسري. فتُعدّ هذه المفاهيم أدوات تحليلية مهمة تمكّن الباحث من تفكيك الظاهرة والتعمق في أبعادها النفسية والاجتماعية. وفي هذا السياق، يُعتبر كل من **الجفاء العاطفي**، **البرود الزوجي** ومفهوم **التعايش السلبي** من المفاهيم الأساسية، والتي تُعرّف على النحو التالي:

- **الجفاء العاطفي:** هو من أبرز المؤشرات الأولية للظاهرة، حيث يتمثل في حالة من البرود في المشاعر بين الزوجين، ويقل أو ينعدم التعبير عن الحب والاهتمام، مما يخلق فراغًا عاطفيًا داخل العلاقة (عبد الرحمن، 2017، ص. 118).
- **البرود الزوجي:** يشكل مظهراً أكثر وضوحاً للظاهرة، حيث يُشير إلى غياب التفاعل الإيجابي في الحياة اليومية، سواء في المجال النفسي أو الجسدي، وهو أحد المؤشرات البارزة للطلاق الصامت.(Edwards, 2016, p. 60)
- **التعايش السلبي:** الذي يعبّر عن استمرار الحياة المشتركة بين الزوجين تحت سقف واحد بدافع الواجب الاجتماعي أو المسؤولية تجاه الأبناء، دون وجود رغبة حقيقية في استمرار العلاقة، مما يُنتج زواجاً شكلياً يفتقد لجوهره الحقيقي (الهاشمي، 2021، ص. 143).

ثانيا: انتشار الطلاق الصامت في الجزائر

شهد المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية عميقة انعكست بشكل مباشر على بنية الأسرة واستقرارها. فإلى جانب الطلاق الرسمي المعلن، برزت ظاهرة الطلاق الصامت كأحد أشكال التفكك الأسري غير الظاهرة، حيث يعيش عدد متزايد من الأزواج في إطار زواج شكلي تغيب عنه المودة والحوار والتواصل الوجداني. وعلى الرغم من أنّ هذا النوع من الطلاق لا ينعكس مباشرة في الإحصاءات الرسمية، لكونه غير مُعلن، إلا أنّ حضوره في الواقع الاجتماعي صار أكثر وضوحاً من خلال تزايد حالات الاستشارات الأسرية والنفسية المرتبطة به. ويكشف هذا الوضع عن

أبعاد خفية للتفكك الأسري في المجتمع الجزائري، مما يجعله تحديًا اجتماعياً ونفسياً يتطلب دراسة معمقة لفهم أبعاده ورصد انعكاساته على الأسرة والمجتمع والبحث عن سبل الحد من آثاره.

تشير الإحصاءات الرسمية في الجزائر إلى ارتفاع ملحوظ في نسب الطلاق خلال السنوات الأخيرة، حيث سجّلت وزارة العدل ما يقارب 65 ألف حالة طلاق سنة 2022م، وهو رقم يعكس تصاعد الظاهرة بشكل مقلق. (وزارة العدل الجزائرية، 2022) ويؤكد خبراء علم الاجتماع أنّ هذا الارتفاع لا يرتبط فقط بالخلافات الحادة، بل يشمل أيضاً ما يُعرف بـ"الطلاق الصامت"، حيث يعيش الزوجان في انفصال عاطفي ونفسي دون الانفصال القانوني، وهو ما يفاقم من الأضرار النفسية والاجتماعية على جميع أفراد الأسرة. (بن يحيى، 2021، ص. 87)

وقد كشفت دراسة ميدانية أجرتها الباحثة صليحة بوعزة (بوعزة، 2020) على عينة من الأسر الجزائرية أنّ 42% من الأزواج الذين يعانون من الطلاق الصامت عبّروا عن شعورهم بالاكتئاب والوحدة، بينما أشار 57% من الأبناء في هذه الأسر إلى معاناتهم من تدني التحصيل الدراسي والانطواء الاجتماعي. هذه النتائج، تدعم ما ذهب إليه الباحث الأجنبي Amatoالذي أكّد أنّ الأطفال في أسر يسودها الجفاء العاطفي معرضون بشكل أكبر للاضطرابات النفسية والسلوكية مقارنة بغيرهم. (Amato, 2010, p. 206)

وفي ذات السياق، يوضح الخبير الاجتماعي محمد بن عيسى أنّ الطلاق الصامت أصبح يشكّل "قنبلة موقوتة داخل الأسر الجزائرية"، إذ يعيش الأزواج تحت سقف واحد لكن دون تواصل أو مودة، وهو ما يخلق بيئة أسرية مضطربة تترك آثاراً عميقة على الأبناء. (بن عيسى، 2021، ص. 54) من جهتها، ترى الباحثة في علم الاجتماع فاطمة الزهراء بوشارب أنّ "أخطر ما في الطلاق الصامت هو أنّه غير مرئي اجتماعياً ولا توجد أوراق رسمية تثبت الانفصال، ومع ذلك يعيش جميع أفراد الأسرة انعكاساته القاسية." (بوشارب، 2022، ص. 113) هذه الشهادات تتقاطع مع ما أكده Cherlin الذي اعتبر أنّ غياب التواصل داخل الأسرة لا يقل خطورة عن الطلاق القانوني، بل قد يكون أكثر ضرراً بسبب استمراره لفترات طويلة دون حل. (Cherlin, 2016, p. 98)

يتضح مما سبق أنّ الطلاق الصامت قد أصبح ظاهرة متنامية في المجتمع الجزائري. فرغم طابعه غير المعلن الذي يجعله غائباً عن الإحصاءات الرسمية، إلا أنّ انعكاساته تبرز جلياً من خلال تزايد حالات الاستشارات الأسرية والنفسية، وكذا الملاحظات الميدانية للخبراء الاجتماعيين. إنّ هذا الانتشار يشير إلى وجود خلل في ديناميات العلاقات الزوجية داخل الأسرة الجزائرية، ويؤكد الحاجة الملحة لفهم العوامل التي تقف وراءه. ومن هنا تبرز أهمية التطرق إلى الأسباب والدوافع التي تسهم في بروز هذه الظاهرة واستمرارها، باعتبارها مدخلاً أساسياً لتحليلها والتفكير في السبل الكفيلة بالحد من آثارها.

ثالثا: دوافع انتشار الطلاق الصامت

أصبح الطلاق الصامت ظاهرة اجتماعية متنامية تعكس هشاشة العلاقات الأسرية المعاصرة، حيث يغيب التواصل الفعّال بين الزوجين دون انفصال رسمي. هذه الظاهرة تثير تساؤلات عميقة حول استقرار الأسرة وتماسكها في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية. ويبرز الاهتمام بدراسة دوافعها كخطوة لفهم أبعادها والحد من آثارها السلبية، حيث يُعزى انتشار هذه الظاهرة إلى مجموعة من العوامل المتداخلة، نذكر أهمها:

- **غياب التواصل والحوار**: يُعد غياب التواصل والحوار بين الزوجين من أبرز العوامل الممهدة لظهور الطلاق الصامت، إذ يمثل الركيزة الجوهرية لاستمرار العلاقة الزوجية واستقرارها. فعندما يتراجع هذا البعد أو يغيب تماماً، تتحول الحياة الزوجية إلى مجرد إطار شكلي فارغ من المضمون، مما يعزز حالة الانفصال الوجداني والعاطفي. وقد أشار الكثير من المهتمين إلى أنّ ضعف الحوار داخل الأسرة يُحدث فجوة عميقة بين الزوجين، تُسهم في تراكم الخلافات غير المعلنة، والتي تتحول مع مرور الوقت إلى شعور بالنفور والجفاء يصعب تجاوزه.

وفي السياق نفسه، أكدت الباحثة الأمريكية نانسي إدواردز أنّ العلاقات الزوجية التي ينعدم فيها التواصل اللفظي والعاطفي تكون أكثر عرضة للانهيار الصامت مقارنة بتلك التي تشهد خلافات معلنة، حيث يُتيح الخلاف المعلن فرصة للتعبير والمناقشة وربما إيجاد حلول، بينما يؤدي الصمت إلى تراكم الإحباطات وتعميق مشاعر الاغتراب داخل الأسرة .(Edwards, 2016, p. 58) وبذلك يتضح أنّ غياب التواصل لا يمثل مجرد مشكلة عابرة بل يشكل تهديداً لبنية الزواج بأكملها، إذ يفتح الباب أمام الطلاق الصامت باعتباره نتيجة حتمية للقطيعة الوجدانية المستمرة.

- **الضغوط الاقتصادية:** تلعب الضغوط الاقتصادية دورًا محوريًا في تعميق ظاهرة الطلاق الصامت، إذ تمثل البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة تحديًا يوميًا يعيشه العديد من الأزواج في الجزائر. ففي ظل هذا الواقع المرهق، ينشغل الأزواج بتأمين الاحتياجات الأساسية للأسرة مثل الغذاء والسكن والتعليم، مما يترك هامشًا ضيقًا أو منعدمًا للاهتمام بالجانب العاطفي والوجداني للعلاقة الزوجية. ومع مرور الوقت، يتحول هذا الانشغال المستمر إلى سبب مباشر في ضعف التواصل وتآكل الروابط النفسية بين الزوجين، ليجد كل طرف نفسه في علاقة يغلب عليها الطابع الشكلي، بينما تغيب عنها الحميمية والدفء العاطفي.

ومن جهة أخرى، يبرز الطلاق الصامت في الجزائر كترجمة لواقع اجتماعي واقتصادي ضاغط يُعيد تشكيل أولويات الأسرة. فكما يشير الباحث سعيد الهاشمي، فإن الأزمات الاقتصادية في المجتمعات العربية تُسهم في جعل البعد المادي غاية أساسية على حساب القيم العاطفية والوجدانية، مما يضعف التماسك الأسري. (الهاشمي، 2021، ص. 137) وفي السياق الجزائري حيث تعاني شريحة واسعة من الشباب من البطالة ويواجه الكثير من الأزواج أعباء مالية متزايدة، تتفاقم هذه الظاهرة بشكل أكبر. وبالتالي يصبح التركيز على توفير لقمة العيش أولوية، مما يجعل من العلاقة الزوجية مجرد إطار وظيفي يفتقد إلى الحيوية والتفاعل، وهو ما يمهّد الطريق لانتشار الطلاق الصامت كأحد انعكاسات الواقع الاقتصادي والاجتماعي الراهن.

- **الملل والروتين:** يُشكل الملل والروتين أحد أبرز العوامل التي تُقوّض جاذبية الحياة الزوجية، حيث يؤديان إلى إضعاف التفاعل العاطفي بين الزوجين وتراجع مستوى الحميمية. فالاستمرار في أنماط حياتية جامدة دون إدخال أي شكل من أشكال التجديد، يخلق حالة من الفتور العاطفي وهو ما أشار إليه خالد الزيات تحت مسمى "تآكل العاطفة". (الزيات، 2020، ص. 92) فالعلاقة الزوجية مثل أي علاقة إنسانية أخرى، تحتاج إلى ديناميكية وتنوع يحافظان على حيويتها ويعززان مشاعر المودة والانسجام، خاصة مع تزايد الضغوط اليومية والمسؤوليات المتكررة.

وفي السياق ذاته، يذهب الباحث الفرنسي ميشال دوبوا إلى أنّ "البرود العاطفي نتيجة طبيعية لغياب الابتكار العاطفي داخل الزواج(Dubois, 2018, p. 77) "، وهو ما يؤكد أنّ الجمود في أنماط التفاعل بين الزوجين يحوّل العلاقة إلى إطار شكلي خالٍ من الدفء العاطفي. وبالتالي فإنّ أثر غياب التجديد لا يقتصر على انحسار المشاعر، بل يمتد ليؤدي إلى فجوة متنامية في التواصل، بما يعزز احتمالات الطلاق الصامت. ومن ثمّ، يصبح إدخال عناصر التغيير والابتكار في الحياة الزوجية ضرورة لضمان استمرار العلاقة في مسارها الإيجابي، بعيدًا عن الفتور والبرود الذي قد يهدد استقرارها.

- **التدخلات الخارجية:** تُعتبر التدخلات الخارجية من قِبل العائلة أو الأصدقاء أحد العوامل الجوهرية التي تُضعف الاستقرار العاطفي بين الزوجين وتُمهّد الطريق نحو الطلاق الصامت. فعندما تتعدد الآراء والضغوطات الخارجية، يتراجع استقلال القرار الزوجي وتُصبح العلاقة مرهونة بمواقف وأحكام الآخرين، وهو ما يخلق توترًا مستمرًا بين الطرفين. وقد أشار عبد الرحمن (2017، ص. 120) إلى أنّ مثل هذه التدخلات تُقيد قدرة الزوجين على حل خلافاتهما بطريقة ناضجة وداخلية، مما يدفعهما غالبًا إلى الانسحاب العاطفي بدلًا من المواجهة المباشرة. كما يؤكد (الهاشمي،2021، ص. 141) أنّ استمرار هذه التدخلات يُسهم في تراكم الصراعات، ويجعل العلاقة أكثر هشاشة وعرضة للبرود الوجداني حتى وإن استمرت شكليًا.

أما في السياق الجزائري، فإنّ التدخلات الأسرية تأخذ بُعدًا خاصًا نظرًا لقوة الروابط العائلية وسيطرة العقلية الجماعية على نمط العيش. ففي كثير من الحالات، لا يقتصر الزواج على كونه علاقة بين فردين، بل يُنظر إليه كارتباط بين عائلتين، ما يجعل القرارات اليومية والاستراتيجية للزوجين محل مراقبة وتأثير من المحيطين. هذا الوضع قد يضعف الخصوصية الزوجية ويمنع بناء استقلالية متينة، وهو ما يُضاعف احتمالية الانسحاب العاطفي.

- **تفاوت التوقعات**: يُعدّ تفاوت التوقعات بين الزوجين من العوامل الجوهرية التي تسهم في تكوين بيئة خصبة لظهور الطلاق الصامت، إذ ينعكس اختلاف الطموحات والرغبات على استقرار العلاقة الأسرية. فمع تغير أنماط الحياة المعاصرة، أصبح لكل طرف تطلعات خاصة قد لا تتوافق دائمًا مع تطلعات الطرف الآخر، مما يؤدي إلى نشوء فجوة في التفاهم والتواصل. على سبيل المثال، قد يطمح الزوج إلى الاستقرار المادي والتركيز على الجوانب الاقتصادية، في حين ترى الزوجة أنّ تحقيق ذاتها في الدراسة أو العمل يُمثل أولوية قصوى، وهو ما يُحدث حالة من التباين في الرؤى والأهداف داخل الأسرة. (الزيات، 2020، ص. 92) ومع غياب الحوار الفعّال لتقريب وجهات النظر، يتحول هذا التفاوت إلى جدار صامت يعيق التفاهم ويُضعف العلاقة تدريجيًا.

وتزداد حدة هذه الظاهرة مع التغيرات الاجتماعية والثقافية التي طرأت على المجتمع العربي ومن بينها المجتمع الجزائري، حيث خرجت المرأة بقوة إلى سوق العمل وأصبحت شريكًا فاعلًا في بناء الأسرة اقتصاديًا واجتماعيًا. غير أنّ هذا التحول السريع لم يُواكب دائمًا بوعي كافٍ من قِبل بعض الأزواج للتكيف مع الأدوار الجديدة للمرأة، مما يخلق صراعًا خفيًا بين التقاليد والتطلعات الحديثة. وفي غياب قدرة الطرفين على إيجاد صيغة توازن تضمن الاعتراف المتبادل بالطموحات والحقوق، ينشأ الصمت كآلية للهروب من الصراع المباشر، فيستمر الزواج شكليًا بينما يغيب الانسجام والدفء العاطفي الذي يُفترض أن يميز العلاقة الزوجية.

- **التأثير التكنولوجي**: أصبح التأثير التكنولوجي ولا سيما الإفراط في استعمال شبكات التواصل الاجتماعي، من العوامل البارزة التي تسهم في اتساع دائرة الطلاق الصامت داخل المجتمعات المعاصرة. ففي ظل الانشغال المفرط بهذه الوسائل، بدأ الكثير من الأزواج يستبدلون التفاعل الواقعي بالعلاقات الافتراضية، وهو ما أدى إلى تآكل الروابط الوجدانية تدريجيًا داخل الأسرة. وقد أوضحت نتائج الدراسات أنّ هذا النمط من الاستخدام يسهم في تعميق الجفاء العاطفي بين الزوجين، حيث يُصبح كل طرف غارقًا في فضائه الرقمي على حساب التواصل المباشر مع الآخر. وفي مثل هذه الحالات، يظل الزواج قائمًا شكليًا لكنّ غياب التفاعل العاطفي الحقيقي يجعل العلاقة عرضة للتآكل من الداخل.

وفي السياق الجزائري يكتسب هذا العامل بُعدًا خاصًا، إذ أظهرت تقارير اجتماعية أنّ نسب استعمال شبكات التواصل الاجتماعي مثل *فيسبوك* و*إنستغرام* و*تيك توك* في تزايد مستمر بين فئة الشباب والمتزوجين. هذا الإفراط في الاستخدام يجعل بعض الأزواج يقضون ساعات طويلة أمام الهواتف الذكية بدلًا من تخصيص وقت للتفاعل الأسري المباشر، مما يعزز من فرص نشوء الطلاق الصامت. وقد أكدت (Edwards, 2016, p. 59) أنّ الإفراط في الاعتماد على العلاقات الافتراضية يضعف الروابط الواقعية، وهو ما ينطبق على الأسر الجزائرية التي باتت تواجه تحديًا في إيجاد التوازن بين التفاعل الرقمي والحياة الأسرية اليومية، حيث تتحول التكنولوجيا من وسيلة للتواصل إلى عامل يهدد الاستقرار العاطفي داخل البيت.

يتبيّن من خلال تحليل مختلف الدوافع أنّ الطلاق الصامت ليس وليد سبب واحد، بل نتيجة تراكم جملة من العوامل التي تُضعف البنية العاطفية للعلاقة الزوجية. إذ يؤدّي غياب التواصل الفعّال وافتقار التجديد إلى فتور المشاعر وانحسار الحميمية، كما تزيد الضغوط الاجتماعية والاقتصادية من حدّة هذا الوضع، مما يرسّخ مسافة نفسية بين الزوجين رغم استمرار رابطة الزواج. وعليه، فإنّ معالجة هذه الظاهرة تستدعي وعيًا أعمق بأبعادها وتدخّلًا عمليًا يعيد التوازن والاستقرار للأسرة.

رابعا: أثار وتداعيات الطلاق الصامت

يُعَدّ الطلاق الصامت من الظواهر الأسرية المعاصرة التي تحمل انعكاسات عميقة على الفرد والأسرة والمجتمع. فهو لا يقتصر على كونه انفصالًا عاطفيًا بين الزوجين، بل يتجاوز ذلك ليؤثر على الاستقرار النفسي والاجتماعي داخل الأسرة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة آثاره لفهم تداعياته والبحث في سبل الحد من نتائجه السلبية.

1- التداعيات على الزوجين

يُفضي الطلاق الصامت في كثير من الحالات إلى مشكلات نفسية متفاقمة، أبرزها الاكتئاب والقلق والشعور بالعزلة، وذلك نتيجة غياب التواصل والدعم العاطفي بين الزوجين. وقد كشفت دراسة أُجريت في السعودية أنّ النساء اللواتي يعشن في إطار الطلاق العاطفي يُسجّلن مستويات أعلى من الاكتئاب والتوتر مقارنة بغيرهن، وهو ما يعكس حجم التأثير السلبي لهذه الظاهرة على الصحة النفسية للمرأة.(Al-Shahrani & Hammad, 2023, p. 45.)

وفي السياق ذاته، أظهرت دراسة أمريكية أنّ الانفصال العاطفي أو الطلاق يزيد من احتمالية الإصابة باضطرابات المزاج، خصوصًا لدى الأفراد الذين لديهم تاريخ مرضي نفسي سابق، مما يضاعف من هشاشتهم العاطفية والنفسية. (Sbarra, Emery, Beam, & Ocker, 2015, p. 210) ويُشير ذلك إلى أنّ الطلاق الصامت لا يقتصر على كونه وضعًا اجتماعيًا غير مُريح، بل يمثل تهديدًا مباشرًا للصحة النفسية، إذ يحرم الأفراد من أهم مصادر الدعم والطمأنينة، وهو العلاقة الزوجية القائمة على المودة والتفاهم. ومن هنا تبرز ضرورة تقديم برامج تدخل نفسي وأسري للتخفيف من هذه الآثار وتعزيز أساليب التكيف الصحي مع الضغوط الزوجية.

2- التداعيات على الأطفال

ينعكس الطلاق الصامت بشكل مباشر على الأطفال، حيث يترك آثارًا نفسية واجتماعية عميقة تتمثل في الانعزال وضعف التكيف مع محيطهم. فقد أظهرت دراسة لبنانية أنّ المراهقين المنحدرين من أسر منفصلة يعانون معدلات أعلى من الاكتئاب والخوف الاجتماعي وحتى الأفكار الانتحارية مقارنة بأقرانهم. (Obeid et al., 2021, p. 6) كما بيّنت دراسات عربية أخرى أنّ الطلاق أو الانفصال العاطفي يؤثر سلبًا على التحصيل الدراسي للأبناء، من خلال تشتت الانتباه وضعف الدافعية، إضافة إلى تراجع الاهتمام بالنشاطات الخارجة عن المنهج كممارسة الرياضة أو الموسيقى. (الغرايبه، 2020، ص. 133)

وفي الجزائر لا يختلف الأمر كثيرًا، حيث تشير تقارير نفسية وتربوية إلى أنّ العديد من الأطفال يعانون من اضطرابات سلوكية وانخفاض في المستوى الدراسي بسبب التوتر الأسري وغياب الجو العاطفي الداعم. كما تُسجَّل حالات متزايدة من الانطواء وفقدان الثقة بالنفس لدى المراهقين في الأسر التي يسودها الطلاق الصامت، وهو ما يجعل المدرسة فضاءً صعب التكيف بالنسبة لهم. هذا الواقع يطرح تحديًا حقيقيًا أمام المؤسسات التعليمية والاجتماعية في الجزائر، ويستدعي وضع برامج دعم نفسي وتربوي لمساعدة هؤلاء الأطفال على تجاوز تداعيات التفكك العاطفي الأسري.

3- التداعيات على الأسرة والمجتمع

يسهم الطلاق الصامت في إضعاف الروابط الأسرية وتراجع قيم التضامن بين أفراد العائلة، باعتباره أحد أبرز مظاهر التفكك الأسري. وتبرز خطورته أيضًا في انعكاساته على الأبناء، إذ قد يدفعهم إلى الانحراف السلوكي أو حتى التفكير في الانتحار كما أوضحت دراسات حديثة .(Obeid et al., 2021, p. 7) كما يؤدي إلى تغييرات ملموسة في نمط الحياة الأسرية مثل تراجع المستوى المعيشي، بما يضاعف من حدة الضغوط الاجتماعية.

أما الجزائر، فتتجلى هذه الآثار بشكل أوضح مع ارتفاع معدلات الطلاق وما ينتج عنها من تحديات اقتصادية وسكنية، حيث تُظهر تقارير محلية أنّ العديد من الأسر المنفصلة تعاني من ضغوط مادية تدفع الأبناء إلى الانقطاع عن الدراسة أو البحث عن العمل في سن مبكرة. كما أنّ التفكك العاطفي داخل الأسرة يُضعف من شبكات الدعم الاجتماعي التقليدية التي يقوم عليها المجتمع الجزائري، مما يهدد استقراره الأسري ويزيد من هشاشته أمام الأزمات الاجتماعية والاقتصادية.

يُستخلص أنّ الطلاق الصامت يخلّف تداعيات عميقة تطال الزوجين والأبناء والمجتمع، بدءًا من الاضطرابات النفسية والعاطفية وصولًا إلى التفكك الأسري وتراجع قيم التضامن. هذه الانعكاسات لا تقتصر على المستوى الفردي، بل تمتد لتؤثر على الاستقرار الاجتماعي العام. ومن ثَمّ، تبرز الحاجة الملحّة إلى تكثيف الجهود البحثية والاجتماعية والنفسية لإيجاد حلول عملية تحدّ من هذه الظاهرة وتعزز استقرار الأسرة ودورها في بناء مجتمع متوازن.

خامسا: الحلول والمقترحات

تقتضي خطورة الطلاق الصامت وما يترتب عنه من آثار سلبية على الأسرة والمجتمع البحث عن آليات عملية للتخفيف من حدته والحد من انتشاره. ويأتي ذلك عبر تبني مقاربات شاملة تراعي الجوانب النفسية والاجتماعية والتربوية، بما يساهم في إعادة التوازن للعلاقة الزوجية وتعزيز مقومات الاستقرار الأسري. كما أنّ بلورة حلول فعّالة للحد أو التخفيف من هذه الظاهرة يتطلب تكامل جهود الأفراد والمؤسسات لضمان حماية الأسرة من التفكك وتحقيق انسجامها الداخلي. ومن بين الحلول التي يمكن تبنيها نذكر:

- **نشر الوعي حول خطورة الطلاق الصامت:** يُعدّ نشر الوعي بخطورة الطلاق الصامت وآثاره النفسية خطوة محورية في الحد من انتشاره، إذ يساهم التثقيف الأسري عبر وسائل الإعلام والبرامج التوعوية في ترسيخ ثقافة الحوار وتعزيز التواصل بين الأزواج، مما يقلل من احتمالات الانزلاق إلى الانفصال العاطفي. وتؤكد دراسة .(Gottman, 2015, p. 210) على هذا التوجه، حيث أبرزت أهمية إكساب الأزواج مهارات التواصل الفعّال باعتبارها أداة رئيسية للحفاظ على التماسك العاطفي وتجنب التفكك الأسري.

- **توفير الاستشارات الأسرية والنفسية:** يمثل توفير الاستشارات الأسرية والنفسية آلية فعّالة ذات بعد وقائي وعلاجي في آن واحد، إذ تتيح للأزواج فرصة للتعبير عن الضغوط النفسية ومعالجة الخلافات قبل أن تتطور إلى الحالة

من الطلاق الصامت. وقد كشفت دراسة ميدانية للباحثة خديجة بوسماحة (بوسماحة، 2021، ص. 75) أنّ ما يقارب 60% من الأزواج الذين استفادوا من جلسات الإرشاد الأسري تمكنوا من استعادة التوازن العاطفي وتحسين قدرتهم على إدارة الخلافات بأساليب أكثر نضجًا وصحة.

- **تبسيط إجراءات الطلاق عند الضرورة:** على الصعيد القانوني، يُعتبر تبسيط إجراءات الطلاق عند الضرورة خطوة عملية للتخفيف من معاناة الأزواج العالقين في انفصال صامت طويل الأمد. إذ يشير زواوي (زواوي، 2020، ص. 92) إلى أنّ التعقيد في الاجراءات القانونية يُبقي العديد من الأسر في علاقات هشة ومتفككة، وهو ما يترك آثارًا سلبية مباشرة على الاستقرار النفسي للأطفال وصحتهم العاطفية.

- **توفير برامج الدعم الاجتماعي للأطفال والأسر المتضررة:** يُعتبر توفير برامج الدعم الاجتماعي للأطفال والأسر المتأثرة بالطلاق الصامت أمرًا أساسيًا للتقليل من تداعياته السلبية. فقد أكدت دراسة (Rhoades, 2017, p. 118) أهمية إتاحة فضاءات للدعم النفسي والتربوي تُساعد الأطفال على التكيف مع التحولات التي تطرأ على حياتهم الأسرية، كما شددت على ضرورة إشراك المؤسسة المدرسية في متابعة التلاميذ ورصد آثار الاضطرابات الأسرية على سلوكهم وأدائهم الدراسي.

تأسيسا على ما سبق، يتضح أنّ مواجهة الطلاق الصامت تتطلب تدخلات شاملة تضع في اعتبارها الأبعاد النفسية والاجتماعية والقانونية للأسرة. فاعتماد مقاربات وقائية وعلاجية يسهم في تعزيز الاستقرار العاطفي بين الزوجين وحماية الأبناء من التداعيات السلبية. كما أنّ الاهتمام بهذا الجانب ينعكس إيجابًا على تماسك المجتمع، من خلال الحد من مظاهر التفكك الأسري وترسيخ قيم التضامن والتوازن الأسري.

خاتمة

لقد أصبح الطلاق الصامت يُعدّ من الظواهر الأسرية المعاصرة التي باتت تثير قلق الباحثين وصانعي القرار الاجتماعي في الجزائر، لما ينطوي عليه من مخاطر نفسية واجتماعية طويلة الأمد. فهو لا يقتصر على غياب التواصل بين الزوجين، بل يتجاوز ذلك ليشكّل انفصالاً وجدانياً ومعنوياً يُنتج بيئة أسرية هشة، يُصاب فيها الزوجان بالوحدة والاكتئاب، ويتأثر فيها الأبناء بانخفاض التحصيل الدراسي والانطواء الاجتماعي، مما يؤدي في النهاية إلى إضعاف النسيج الأسري والمجتمعي ككل.

وقد أوضحت الدراسات الميدانية أنّ استمرار الأزواج في مثل هذه العلاقات دون تدخل أو حلول عملية، يفاقم من حدة الانعكاسات ويؤدي إلى تراكم مشكلات يصعب معالجتها لاحقاً. لذلك، فإن التصدي للطلاق الصامت يتطلب استراتيجية شاملة متعددة الأبعاد، تبدأ من نشر الوعي الأسري عبر وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والدينية، مروراً بتعزيز دور مراكز الاستشارات الأسرية والنفسية، وانتهاءً بتبني سياسات قانونية واجتماعية تراعي مصلحة الأسرة والأطفال.

من جهة أخرى، تبقى الحاجة ماسة إلى المزيد من البحوث الميدانية والدراسات العلمية في السياق الجزائري، لتسليط الضوء على الخصوصيات الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالظاهرة، لأن فهم أبعاد الطلاق الصامت محلياً سيساعد على اقتراح تدخلات واقعية تتناسب مع طبيعة المجتمع الجزائري، وتساهم في بناء أسر متماسكة قادرة على مواجهة تحديات العصر.

- قائمة المراجع

- المراجع باللغة العربية

- الخطيب، سلوى عبد الحميد. (2019). علم الاجتماع الأسري: مقاربات نظرية ودراسات تطبيقية. بيروت: دار الهدى.

- الزيات، محمد. (2020). الطلاق الصامت: قراءة في التحولات الأسرية المعاصرة. القاهرة: دار المعرفة.

- الغرايبه، فاكر محمد. (2020). التأثيرات النفسية والاجتماعية للطلاق على الأطفال. جامعة الشارقة، الإمارات. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 12(2)، 130-140.

- الهاشمي، سعيد (2021). التفكك الأسري وأثره على المجتمع. بيروت: دار الكتاب الجامعي.

- بن عيسى، محمد. (2021). المشكلات الاجتماعية للأسر الجزائرية المعاصرة. الجزائر: دار المعرفة.

- بن يحيى، سمير. (2021). العلاقات الزوجية والطلاق الصامت في المجتمع الجزائري. الجزائر: دار هومة.

- بوسماحة، خديجة. (2021). دور الإرشاد الأسري في معالجة مشكلات الطلاق الصامت: دراسة ميدانية في الجزائر. الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية، 15(2)، 70-85.

- بوشارب، فاطمة الزهراء. (2022). الأبعاد النفسية والاجتماعية للطلاق الصامت في الجزائر. الجزائر: مجلة دراسات أسرية، 8(1)، 110-125.

- بوعزة، صليحة. (2020). انعكاسات الطلاق الصامت على الأسرة الجزائرية: دراسة ميدانية. جامعة الجزائر: مجلة العلوم الاجتماعية، 12(2)، 45-70.

- زواوي، عبد القادر. (2020). الإصلاح الأسري وإشكالية الطلاق في التشريع الجزائري. الجزائر: دار هومة.

- وزارة العدل الجزائرية. (2022). التقرير السنوي لإحصاءات الطلاق في الجزائر. الجزائر: وزارة العدل.

- عبد الرحمن، علي (2017). علم اجتماع الأسرة: مقاربة سوسيولوجية. القاهرة: دار الفكر العربي.

- المراجع باللغة الأجنبية

- Al-Shahrani, H. F., & Hammad, M. A. (2023). Impact of emotional divorce on the mental health of married women in Saudi Arabia. Saudi Arabia.

- Amato, P. R. (2000). The consequences of divorce for adults and children. Journal of Marriage and Family, 62(4), 1269–1287.

- Amato, P. R. (2010). Research on divorce: Continuing trends and new developments. United States: Journal of Marriage and Family, 72(3), 650-666.

- Cherlin, A. J. (2016). Emotional disengagement and family instability. United States: Family Relations, 65(1), 90-102.

- Dubois, Michel (France). (2018). La relation conjugale moderne: Entre passion et désenchantement. Paris: PUF.

- Edwards, Nancy (USA). (2016). Silent Divorce: Emotional Separation in Modern Marriage. New York: Routledge. pp. 58–62.

- Gottman, J. (2015). The seven principles for making marriage work. New York, United States: Harmony Books.

- Kayser, K. (1993). When love dies: The process of marital disaffection. New York: Guilford Press.

- Obeid, S., Haddad, C., Sacre, H., Fares, K., & Salameh, P. (2021). Association between parental divorce and mental health among adolescents: Results from a national study in Lebanon. BMC Pediatrics, 21(1), 1–10

- Rhoades, H. (2017). Family breakdown and children's well-being: An Australian perspective. Australia: Journal of Family Studies, 23(2), 110-125.

- Sbarra, D. A., Emery, R. E., Beam, C. R., & Ocker, B. L. (2015). Marital dissolution and major depression in midlife: A propensity score analysis. Clinical Psychological Science, 3(2), 211–223.